

لفندق الامبراطورى

رواية غرامية تاريخية مليئة بالحوادث والمفاجآت

تأليف

موريس أوبين

تعريب الكاتب المعروف

عمر عبد العزيز أمين

تطلب من المكتبة التجارية الكبرى بأول شارع محمد علي بمصر
لصاحبها الحق في حقها

مطبعة التقدم بشارع محمد علي بمصر

الفصل الأول

الاتون المتهب

كانت الحرب سجلا في ذلك الاتون المتهب . الذي
تندلم منه النيران دائما الى كل اوروبا . وتجعل السلم العالمي في
خطر دائم . ونعني بذلك الاتون شبه جزيرة البلقان . التي
تقطعها شعوب شتى . مختلفة الاديان متباينة الاجناس . لكل
منها مطامع في التوسع والتوغل . فهي دائما في نزاع . وكل
منها واقف للاخر بالمرصاد . ينتظر ففلة منه . ليشب
عليه ويبتله

منذ اكثر من قرن . وهذا التنازع على البقاء . . هو
الظاهرة البارزة في شبه جزيرة البلقان . التي أخذت السياسة في
اوربا . يطورون اليها نظريتهم الى بركان هائل . يشور بين
الفينة والفينة ورسائل قدامه على السكان الذين لم يعرفوا
طما للاراحة والطمأنينة منذ عشرات الاعوام

وقد قامت الحرب التي نتكلم عنها بين جمهورية سلافونيا

ومملكة جرجوفيا وكلاهما من المقاطعات الصغيرة . التي
ساد انسلام والوثام بينها منذ سنوات عدة وكانت سلافونيا
هي البادية بالاعتداء فأخذت تستعد سراً . وتستجلب الاسلحة
وتدرب الجنود . ثم قامت بهجوم مفاجيء بعد تفكير طويل
ودرس عميق

فما هي الاعشية وضحاها . . حتى خرجت جيوشها
الجرارة . واجتازت الحدود وأعملت النهب والتخريب . في
بلاد أعدائها الآمنين
ولم تكن مملكة جرجوفيا الصغيرة تتوقع مثل هذا
الاعتداء من جارتها الخليفة .

فلما اتصل خبر بمجلس الوصاية الذي يقوم باعباء الحكم الى
الشيخ الصغير ترشد . كان الاعتداء قد
توغلوا في داخل بلاد وقتل أهلها الآمنين ودكوا حصونها
ودمروا قراها وخربوا دورها وهاوا تفوا زرعها . . وشقتوا
مشتها بين الجبال والوهاد

فصدر أمر المجلس بالتحديد انهم . . ولكن بعد فوات
الوقت . . فن الاعتداء كانوا ينقدون بسرعة هائلة وهم أكثر

عددا وأنهم عدة ..

ولما اشتبك الجيشان . . كان الجرجوفيون يقاتلون قتال
الابطال . ويستमितون في الدفاع عن بلادهم العزيزة ولكنهم
اضطروا أخيرا . . بعد قتال عشرة أيام . وبعد تضحيات هائلة تدل
على بطولة نادرة اضطروا أن يتراجعوا وراء نهر «ماروسا» الذي
يجتاز بلادهم من أقصاها الى أقصاها . وبذلك تقدم جيش
سلافونيا باطمئنان ووجد مدينة «رومبرج» عاصمة جرجوفيا
عزلاء . خالية من السكان . وليس فيها من يرفع أصبا
للدفاع عنها . .

وقد قام قائد جيش جرجوفيا بحركة التراجع بعد اذ
تبين له أن الثبات أمام هذا الجيش الجرار إنما هو ضرب من
خروب المستحيالات . .

وقد فضل التقهر على التسليم . أو القتال الى أن يفنى جيشه
سبا وانه كان يعلق آمالا كبارا على الامداد التي وعدها
مجلس الوصاية . . وعلى الخطة التي كان يدبرها ليستدرج بها
الاعداء الى مكان تكون له فيه بعض الميزات عليهم . فيعمل
فيهم القتل والذبح حتى يفنيهم عن بكرة أبيهم . .

تلك كانت خطة القائد العام لجيش جرجوفيا . . وهي
التي زينت له التقهر . ومنعته من التسليم . . أو المقاومة لان
المقاومة كانت في الواقع ضرباً من ضروب الانتحار
وتلك كانت الحالة في جرجوفيا . حين فرت الحكومة
وفر البلاط . . الى بلد عند الحدود . . بعيداً عن ميدان القتال .
وكان بين الفارين بالطبع الملك بولس الرابع . . .
وهو غلام في السادسة من عمره . وقد ورت عرش جرجوفيا
عن آباءه وأجداده

وتبدأ حوادث هذه الرواية في صبيحة يوم مظلم حزين
من أيام شهر يناير . . وقد سدت على مدينة « رمبرج » سكون
وؤلم . . وهي تنتظر بين ساعة وأخرى دخول أعدائها المظفرين
وكانت الشوارع موحشة متفجرة . . وقد فر الناس سحاً
الأغنياء في أثر البلاط الملكي .

وأما هؤلاء الذين لا يستطيعون الفرار ما لانهم لا يملكون
وسائله . . ولا يملكون ما لا يساعدهم عليه . . ولما لاسباب
أخرى . . هونك قد قبعوا في منازلهم . . وأوصدوا أبوابهم

ولزموا الصمت . . أو وقفوا وراء نوافذهم المغلقة . وراحوا يرقبون مجريات الحوادث في الخارج بقلق وأي قلق .

وكانت مدام اولجا دنكوفتش بين الذين ترددوا حتى اللحظة الأخيرة . . ولم يقر قرارهم على شيء . . حتى أصبح الاعداء على الابواب .

كانت مدام دنكوفتش تملك أكبر فندق في المدينة وهو « الفندق الامبراطوري » الذي لم يكن له شبيه في تلك العاصمة من حيث الاتساع والفخامة . .

فهي اذا بقيت تدبر فندقها حتى يأتي الاعداء . . فأنها تستطيع بنير شك أن تنجي أرباحاً طائلة . .

ولسكن بقاءها من جهة أخرى يعرض شخصها الثمين لاختارجه . . يرتجف بدنهما لجرد التفكير فيها

...

ثم هي بعد ذلك لم تكن بحاجة الى المال بعد اذ جمعت منه الطائل الوفير . وقد كانت ارملة منذ عدة اعوام وليس لها من الاقارب من يستطيع أن يدفع عنها الاخطار

التي قد تتعرض لها اذا بقيت في المدينة . سيما وقد سمعت .
عن فظائم جنود الاعداء وشراستهم ما يجعل الدم يجمد
في العروق .

اعملت مدام دنكوفتش التفكير مليا . واستاطعت في نهاية
الامر ان تقع على رأى وسط : كفيلا بأن يضمن لها سلامتها
الشخصية والارباح التي تتوقعها . والتي تحرص على الحصول
عليها حرصا على سلامتها :

وكانت قد اعدت حقائبها . خملتها في سيارتها : وأخذت
معه كل ما خف حمله وغلا ثمنه واستعدت للفرار .

والسكنيا لم تغلق الفندق كما كان متوقعا . وكما كان ذلك
غرضها بادىء بدء بل تركته مفتوحا : وتركت مقاليد
ثلاثة من خدمها الامناء الذين تعهد فيهم النشاط والاخلاص
واؤلئك الثلاثة هم صوفيا الخادمة . وكازيمير العجوز الذي
يستقبل النزلاء عند باب الفندق وانطوان الطاهى

وكان آخر ما قالته مدام دنكوفتش لهؤلاء الثلاثة انها
وعدهم بمكافأة جزيلة . اذا هم قاموا بواجبهم خير قيام ووضعوا
نصب عيونهم دائما الحرس على فائدتها وارباحها .

ثم ركبت السيارة . ولوحت لهم يدها مودعة وذهبت
في سيارها

ولم تمنع خطورة الموقف . . ولا الحالة القلقة السيئة التي
أصبحت عليها المدنية . . لم يمنع ذلك كله الخادمة صوفيا من
القيام بما يجب عليها . كما لو لم يكن هناك خطر أو قلق . . وكما لو
لم يكن الناس جميعا قد هاجروا من المدينة فلحق بعضهم بالبلاط
الملكي وحمل البعض الآخر السلاح للذود عن الوطن . .
وكما لو لم يكن الضيق خلوا من كل نزيل .

ولما انتهت من تنظيف الغرف . وفتح النوافذ . تهايلت
على أحد المقاعد . وجلست تستريح .

كانت لا تزال صبية في مستقبل العمر بترقرق في وجهها
ماء الشباب والجمال . . لها وجه مستدير . وبشرة ناصبة البياض
وعينان سوداوان . . ينبعث منها نور اللطف . . والنشاط . .
وقوة الإرادة والاخلاص . وشعر طويل حالك كالليل . .
لم تكن صوفي سوى خادمة بسيطة . . ولكن م
ضمت عليه من الجمال والدكاء . وسرعة الخاطر ودقة الحساسية
وقوة الإرادة . كل ذلك كان يؤهلها لحياة أسعد . ومستقبل

أروع من تلك الحياة وهذا المستقبل الذين ينتظرونهم في ذلك
الفندق .

ثم هي بعد ذلك كانت وطنية صبيحة وكانت تشفق على بلادها
من هذه السكارته القاذرة التي أصابتها. ولكنها كانت تأمل من
صميم قلبها أن تمر هذه المحنة بسلام . أن يحسم القوادى في بلادها قلوب
جيوشهم . ويقبضون بهجوم أخير . يردون به الأعداء على
أعقابهم . ثم يسود السلام بعد ذلك وترجع المياه إلى مجاريها
وكانت صوفي تحب كازيمير "الشيخ حيا حيا" . فقد كان
الرجل من رأيها في كل شيء .

وكان هو أيضا وطنيا صديقا . ولولا شيخوخته . وضعف
جسده . لكان أول من حمل السلاح للذود عن بلاده المهددة
، الطوان الطاهي فكان منها على طرفي نقيض .

ورغم شبابه . وقوته وضخامة جسمه التي تضعه في
صفوف المقاتلة . فإنه كان يلمس مئات الأعذار ليتخلص
من الاشتراك مع مواطنيه في حمل السلاح . والوقوف معهم
جنباً إلى جنب في ميدان القتال

ذلك أنه كان أنانيا . محبا لذاته . والأناني جبان بطبعه

وكثيرا ما كان انطوان يقول «لا امر ما اذهب وأخاطر
بنفسي ..»

« واذا مت فما الذي اجنيه من النصر .. سيان عندي أن
تحكمي سلافونيا .. أو جرجوفيا .. مادمت أتمتع بالحياة . »
ولهذا كانت تكرهه صوفي وتنفر منه . ولا تطيق أن
تراه لأثانيته وجبنه .

بيدما كان هو من جهته يعمل على اقناعها بصدق نظرياته
وصحة فلسفته .. ليقتل شعورها الشريف . ووطنيتها الصادقة
وليجعلها مثله أنانية .. قليلة الا كثرات بكل ما لا يتناول
فائدتها الشخصية . ولكن بدون جدوى . فانه لم يكن يزيد لها
الا كراهية له . وتمورا منه

...

كانت صوفي تفكر في هذا وأماله وهي جالسة في مقعدها
ثم هزت رأسها أخيرا . ونهضت لتواصل عملها

الفصل الثاني

الجندى الثاني

توجد عند مدخل الصالة الكبرى في الفندق غرفة جانبية صغيرة . قد جعلت منها مدام دنكوفتش مكانا لها . وقد لاحظت صوفى أثناء سيرها أن باب هذه الغرفة مفتوحا . .

ولاحت منها الفتاة الى الداخل . . فرأت رجلا مسترقا في النوم على أحد المقاعد .

سارت بلطف وهدوء . ودخلت الغرفة . ووقفت امام النائم . فرأته شابا في مقتبل العمر . يلبس ثياب ضابط من ضباط الفرسان بالجيش الحرجوفى . وقد تمزقت هذه الثياب وتلوثت بالدم وأصبح منظرها مما تتبوعنه العين

ولاحظت صوفى انه ليس يديه أو وجهه شيء من الجراح أو الخدوش . وان تكن تقاطيع وجهه تدل على التعب الشديد وأوصب الذى لاحد له .

فنظرت اليه طويلا بلطف واشفاق . ثم خرجت من

الغرفة ونادت :

— كازيمير . انطوان

فأقبل الخادم والطاهى مسرعين .

ولما سألاها عن الخبر . سارت بهما الى الضابط النائم

فغمغم كازيمير :

— انه أحد ضباطنا البواسل . مسكين . تلوح عليه علامات

التمب الشديد ولكن كيف استطاع الدخول الى هذه الغرفة

دون أن يلفت أنظارنا اليه !!

فأجاب انطوان :

— هذا بسيط للغاية .

وأشار الى نافذة مفتوحة . وأردف

— انه وثب من فوق السور الخارجى ودخل الغرفة

من هذه النافذة ونام بها بغير تكلف .

ولكن يجب عليه أن يتأذر عذا المكان . ويتأذر بسرعة

أيضا . فن الاعداء اذا عثروا عليه هنا قتلوا به وبنا جميعا .

ولم تأخذهم .. شفقة ولا رحمة .

قل ذلك وتكرب من النائم وراح يوقظه بخشونة وقساوة

فتألت صوفي . والقت على الطوان نظرة تم عن ثوره^١
واشتهز ازها تم انحت فوق الضابط النائم .. وقالت له بصوت
هاديء عذب .

— سيدى . اسرع ياسيدى . يجب أن تستيقظ . فان
الاعداء قادمون

ولكن الضابط ظل مستغرقا فى نومه العميق الذى لم
يكن ليقظه منه دوى المدافع او قصف الرعود
تحولت صوفي الى الخادم المجوز كازيمير وقال له :

الوقت ضيق . واكبر ظنى ان هذا الجندى المسكين
اذا استطاع ان يستيقظ . فإنه لن يستطيع السير على قدميه
خطوتين او ثلاث . فهو منهوك القوى . كما ترى ويجب
ن نخبئه فى مكان ما مها كلنا ذلك . قبل ان ينجىء الاعداء
ويحتلوا المدينة . لانهم اذا وقت ابصارهم عليه : فانهم يفتكون
به بغير شفقة او رحمة

فأجاب كازيمير المجوز بما طبع عليه من الطاعة والنزول
على رغبات صوفي .

— اتفقتا . فلنحمله بيتنا بغير تردد ولكن اين نخبئه ؟

قالت صوفي:

- لنبدأ الآن بوضعه في غرفة صغيرة في الطابق الاول
وبعد ذلك تفكر في الامر مليا
انت وانطوان تحملانه الآن . وانا ادلكما على
هذه الغرفة .

فهو الطاهي انطوان رأسه . وقال .
- انا احمله؟؟ واساعدكما على تحيئته؟؟ مستحيل .
ليس في نيتي ان اخاطر برأسي . واقدمها تمناء هذه الحماقة
والطيش . وهذه الاعمال التي هي صرب من ضروب الالعب
الصبيانية

فكان جواب صوفي على هذه النذالة . انها صمته بنظرة
تدل على منتهي الاحتقار والاشمزاز .
ولما كانت تعلم ان اوقت صيق . ولا يسمع للجدل
انحنت فوق حبل الصابند لما سمعته وتوالت مع كارتير
على حمله .

وسار به الاثنين رويدا رويدا وصعد به الطابق الاول
وكانا كما شمر اثناء السير شيء من التعب توقفا

والتقطا انقاسهما ثم واصلتا السير
كل ذلك والضابط مستغرق في نومه . لا يشعر بشيء
مما يقع له ولولا انقاسه المهادنة المنتظمة . لتطرق الى الدهن
في الحال انه جثة حامدة لا تستطيع حراكا .
ودخلا به الغرفة التي تكلمت عنها صوفي : وهناك وضعا
على فراش صغير . ووقعا يلتهان من التعب

ولما افرخ روعهما . وشعرا بالراحة والطمأنينة . أضافا
المفاوضة . وتقلب وجوه الرأي .
وبعد ان اتفقا على ان يتركا الضابط مستغرقا في نومه
بضع دقائق اخرى . اغلقا باب الغرفة جيدا . وانصرف كل
منهما الى عمله

...

وفي هذه اللحظة بعينها حلت الريح الى آذانهم دوى
الطبول ابني يقرعها الجيش الفانج ثناء تقدمه
وتخذ هذا الدوى يزداد وضوحا وارتفاعا حتي اعتقد
الجميع ان جيش الاعداء اصبح على الابواب

وعندئذ تبادل اصحابنا الثلاثة نظرة ذات معني :
لم يعد ثمة مكان للشك والارتياب. فقد دخلت جيوش
الاعداء المدينة وبدأ القائد يستعرض جنوده في شوارع
العاصمة وميادينها

التفت انطوان الى صوفي . وقال لها وهو يشير باصبعه
الى صفوف الجنود التي تحترق الشوارع اختراق الظافر المنتصر
— انك غبية وحمقاء انت وكازيمير . وسوف يعثر
الاعداء على هذا الضابط ان عاجلا أو آجلا . وعندئذ سيكون
المقوية الهائلة . ويكون هلاكنا جميعا .

لقد خاطرت بنفسك وغامرت بحياتي معك . من أجل
هذا الضابط الجبان . الذي تخلف عن رفاقه . أو هرب منهم .
وجاء يلتمس ملاذا في هذا الفندق الامين

هاهم الاعداء يملأون كل بقعة في المدينة ولا بد أن يعثروا
على هذا التعس كما قلت لك . واسكني للاحب ان اوخذ بجريرة
أحد . أو اكفر عن خطأ قد ارتكبه سواي .

فرمته الفتاة باحتقار شديد وقالت له بأهمة وكبرياء :
— ماذا تريد أن تقول ؟؟ . أتريد أن تقنعني بان الجبن

يُضَيِّعُ عَلَيْنَا بَازٍ نَسْلُمُ إِلَى الْأَعْدَاءِ أَحَدُ ضَبَاطِنَا ذَيْبَةً تَمْسُهُ لَا
تَسْتَطِيعُ عَنْ نَفْسِهَا دَفَاعًا ؟؟

أَنْتَ نَذْلُ جَبَانٍ لَا تَعْرِفُ مَعْنَى الشُّجَاعَةِ وَالتَّضَعُّعَةِ . .
وَقَدْ بَرَهَنْتَ لِي عَلَى نَذَالَتِكَ وَجَبْنِكَ قَبْلَ الْآنَ :
وَأَسْكَنْ تَذَكَّرْ جَيِّدًا مَا أَقُولُهُ لَكَ فِي هَذِهِ اللَّحْظَةِ .

أَنْ مَفَاجَأَةُ الْأَعْدَاءِ لَنَا . وَهَجُومُهُمْ غَيْرُ الْمُنْتَظَرِ . لَمْ يَتْرَكْ
لِرِجَالِنَا فُرْصَةً لِلدَّفَاعِ عَنْ أَنْفُسِهِمْ . وَالذُّودُ عَنْ وَطَنِهِمْ . فَتَهَيَّأُوا
فِي ظُرُوفٍ مَوْثَلَةٍ .

وَأَسْكَنْتِي أَعْلَمُ . وَيَعْلَمُ النَّاسُ جَمِيعًا أَنَّهُمْ أَشْجَعُ أَهْلِ الْبَلْقَانِ
طَرَأَ . وَسَوْفَ يَجْمَعُونَ قُلُوبَهُمْ . وَيَلْمِزُونَ شَتْمَهُمْ . وَيَقُومُونَ
بِحُومٍ أَخِيرَ . يَسْتَمِيتُونَ فِيهِ حَتَّى تَعْقِدَ لَهُمُ الْوَيْةُ النَّصْرَ .
وَهَذَا الْيَوْمَ الَّذِي سَيَفُوزُ فِيهِ الْوَطَنُ قَرِيبٌ جِدًّا . . . نَا
أَشْرَبُ بِذَلِكَ . وَرَبَّمَا كَانَ أَقْرَبُ مِمَّا تَتَصَوَّرُ . فَهُوَ آتٍ لَا رَيْبَ فِيهِ
وَعِنْدَئِذٍ أَسْتَطِيعُ أَنْ أَرْفَعُ عَقِيرَتِي . وَأَصْبِيحُ عَلَى رُؤُوسِ
الْأَشْهَادِ قَائِلَةً أَنْتَ خَائِنٌ لِلْوَطَنِ . مَارِقٌ عَلَى الْوَطَنِيَّةِ . وَأَنْتَ
تُخْطِرُ عَلَى الْبِلَادِ مِنْ أَعْدَائِهَا أَنْفُسَهُمْ .

نعم . سأقول ذلك . واجعل منك عبرة لمن يعتبر . اذ
تجرات . ونطقت بكلمة واحدة . أو بدرت منك اشارة بسيطة
يكون من نتائجها أن يصاب باقل اذى هذا الضابط اليأس .
الذي اعتره ضيقاً مقدساً

ثم اعلم بعد ذلك . اني وكازيمير وحدنا مسئولان امام
الاعداء عن هذا الضابط . واذا قضت الظروف . فاني وإياه
على اتفاق تام بأن نعترف للاعداء بهذه المسئولية . بحيث
نخليك من كل تبعه أو نوم . فكن مطمئناً . فسي أن يكفيك
هذا الايضاح

وكانت كلماتها الصريحة القاسية وقعها المطلوب في ذلك
الجبان . فانها طمأنته على سلامته الشخصية . وطردت من
نفسه كل رغبة في الخيانة . حتى رأي من الحكمة والعدل . أن
يلزم الحياد التام .

هز كتفيه . وراح يغمغم بين شفتيه بضم كلمات . على
سبيل التأكيد بأنه بنفس يديه من هذه المعامرة
والهكذا الصبية لم تعبأ به . ولم تكثر لكلماته . رخصت

في سيارها رافعة الرأس . شاحنة بأقفا . وعلى شفتيها علامات
الاحتقار والازدراء

ولما وصلت الى العرفة الصغيرة التي تركت فيها الضابط
فتحت بابها . وأدهشها أن تري الضابط واقفا على قدميه
أمام احدى النوافذ

كان ذوي الضبول في الخارج . وصيحات الظفر التي
تدوي في الشارع قد أيقظته من نومه العميق . فوثب من
فراشه . . ووقف امام المافذة يرقب جنود الاعداء . وهو
مصر "توجه . يكاد يشق غيظا واعمالا .

... مع بوق نخبوس في العرفة . تحول الي الورداء . .
ووضع يده في جيبه
الذراع من يده حتى لمظلة الاخيرة .

...
...

...
...
...

— انك في الحق عظيم الاسيhtar . عديم الروية ياسيدى الضابط . وقد كان من حسن حظك أن أحداً من جنود الاعداء في الخارج لم يقع عليك بصره . ويرى ثيابك العسكرية التي تدل على هويتك .

لقد كدت تفسد الجهود الجبارة التي بذلتها وأبذلها في سبيل انتماذك .

فرغم الضابط الشاب يده الى جيبتة وقال بذهول :

— اني نمت . اليس كذلك ؟ . ونمت طويلاً ؟ ؟

آه . لماذا لم توقظيني قبل الآن ؟

يجب أن الحق برفاقي بأسرع ما يمكن . مها كافني ذلك

لقد اشتر كنا ايلة أمس في معركة هائلة :

و كنت في مؤخرة الجيش . فاضطرتني الظروف القاسية

والخطر الشديد أن أتخلف عن رفاقي . لادفع عنهم هجمات

لاعداء الذين يطاردونهم . ووجدت نفسي أخيراً على مقربة

من المدينة وقد دار بي الاعداء من كل ناحية . وكادوا يوقعون

بي . . فقتلت ثلاثة منهم . وبذلك فتحت لنفسي نفقة بين

عنقوفهم . استطعت الفرار منها . ولكن جوادى بقوة .

فراح يحترق بي شوارع المدينة . والاعداء يطاردونني . الى
أن نال مني العياء والوصب . فانشق جوادي تبعا على مقربة
من هذا المكان .

وسمعت صوت حوافر الجياد التي تطارءني آخذا في الاقتراب
ولم أشأ أن أسقط صريحا تحت ضربات سيوفهم . في
حركة غير عادية . كما أنك لم أشأ أن أسقط أسلحتهم
وفكرت في أن أفلت منهم مولات فوق سير هذا المنزل
علي أمن أن جد فيه ملجأ أفرع اليه . وختي فيه بضع دقائق
غير أنني كنت منهوكة لتقوي لسوء الحظ . فم أ كد
اتخذ حيث وجدت مقعدا . حتى على الناس .

ولما نجب عني نازح ورحل في الخان . هل فهمت ؟

وقد أصبحت صدي في الى كلامي صمت وسكون فلما انتهى
هزني . سها بصر وأبابت .

— أن عاواه الخروج من هنا في هذا الوقت هو ضرب
من سرور الجملة . بل هو لا تتحار بعينه . . وليس
أقل من أن يصي هنا هذه الليلة . لي أن يسنى لك الفرار

تحت جنح الظلام.
أما الآن فانك بمأمن هنا .
وصاحبة هذا القندق . قد غادرت المدينة وهربت في أثر
الحكومة والبلاط .

وإذا اضطرتك الظروف الى العمل وحوادث هنا . فانك
تستطيع أن تقول فانك أخذ الخدم . في هذا القندق دون
أن تجد من يكذبك أو يحاسبك على هذا الإجراء .
فصاح الشاب بآهة وكبر .

— أنا الضابط الكونت ماني . انخطأتم رؤسكم .
فعضت صوفي شفتها بالدم فوطت شفتها .
— ماتتكم الضرورة . يجب أن يجبري مجرى القانون .
فلننتظر الآن مجريات الحوادث . ولتكن منكم .

~ ~ *

وفي تلك اللحظة . دوى طرق شديد على أبواب المأوى
فجئت صوفي انقاصاً . رأت طائفة من الضباط بين من
خشب نافذة .

وعندئذ رأينا كازيمير انظر الى بنته ان باب النافذة

ثم شاهد اضابطين وجنديين من الاعداء يدخلون الفندق
ورأيا بعد ذلك أن أحد الضابطين يكلم كازيمير المجوز
بلهجة تتم عن الصلف والكبرياء والخدام المسكين بطرق برأسه
بين الفينة والفينة علامة الطاعة .

أما انطوان . فانه أخذ يتراجع أثناء الحديث الذي دار
بين كازيمير والضابط حتى اختفى .

ولما انصرف الضابطان والجنديان . أغلق كازيمير الباب
وصعد لمقابلة صوفي فسأله :

— ما وراءك يا كازيمير ؟

فاجاب الخادم المجوز بحزن

قال لي هذا المناضل . أن القائد العام للتليق الثالث من
يش الاعداء . قد قدم لي يارديتي هذا الفندق نظرا لاساعه
نيقيم فيه مع ضباطه وأركان حربه . .

أمرني . أن نعد الفندق لاستقبالهم في أية لحظة .

ثم أوصا برأسه الى الضابط عليه وقال محمرا صوفي

— هل كبر . سيدي الضابط . يا أفتما عليه انا وانت

أأمن شمسك صماز . سلامته ؟

فأجابته بالإيجاب فاردف :

— اذن أرجو سيدي الضابط أن يتبعني في الحال لآخيه
ثيابه العسكرية واسلحته وآنيه بالثياب الأخرى التي تقضي
الظروف الحاضرة بأن يرتديها
وليعلم سيدي الضابط أن اسمه من الآن هو ماركو
بتروتش .

ولم يجد السكونت ماسي بدا من الطاعة والرضوخ لاحكام
الضرورة.

وقبل أن يعادر المعرفة في أثر كازيمير التفت الى صوفي
وغنم بضع كلمات مضطربة أراد أن يعربها عن شكره وامتنانه
وتقديره ما طبع عليه من كرم الخلق ونكران الذات والتضحية
فأجابته الصبية في هدوء .

— لقد دفعتك الشهامة والبر الى ان تمارس
سبيل الوطن . وقد فابت الاعداء وجها لوجه
من دواعي سمنا حفا ان اتحت لنا هذه الفرصة ان نمر
بأقل مما يجب علينا نحو صابط سر من جنابنا جيش
الباسل

الفصل الثالث

نشوة الظفر

سار الجنرال جوزوفتش قائد الفيلق الثالث لجيش
جمهورية سلافونيا ، واتبه ضباطه المعظم واركات حربه :
وقصدوا الى المندق الا . براطورى للاقامة فيه
كان الجنرال المذكور رجلا طويل القامة عظيم الهامة
كبير الاجتهاد وقد حرك في نفسه الانتصار الساحق السريع
الذى اصابه في ايام قلائل . عوامل الكبرياء والصلف : فبدا
على حقيقته رجلا متكبرا نفورا شامخا بأنه
وكانت عيناه الصغيرتان الضيقتان ندلان على الخبث
ولدهاء . رسمه الحيلة بينما كان يمس فيهما في بعض الاحيان
بريق وضاء ينطق بما طبع عليه نفس الرجل من الوحشية
والقساوة

يرعى قبحه هذا وتقاطيع وجهه التى تنفر اثرائى كان الجنرال
يستفد انه فائن خلاب وأسعد النساء تلك التى يتاح لها أن ترتدى
تحت ثدييه ونظارحه الغرام

فكيف اذن وقد اصاب ميزة اخرى على ما فيه من مميزات
الجمال ونعني به ذلك النصر الذي بسحر الباب الرجال والنساء
على السواء !!

دخل الجنرال الفندق الامبراطورى ومشى فيه مشية
العائد المظفر

ووقع نصره على صوفى وهى تؤدى عملها فوقف في مكانه
لحظة واخذ يصعدا بمينيه الضيقتين ثم هف :

— يا لله لو كنت اعلم ان فى (روبرج) ساء فى جمال
هذه الحسناء اذن لعجلت باحتلالها منذ زمن
ما اسمك يا ساحر فى الصغيره !

فاجابته باخنصار

— صوفى

— يا صوفى - يا صغيرتي الحسنة ان فى عينيك الجذابين
من السحر ما هو كبير بل قد هار على قلب اكار - صبر و
يجب ان تنحري بذلك

وما نرى بهذا من حكمة الشريعة ابستم ضباطه الذين كانوا
سارعون الى مراعاته والاعتناء بكلامه بدافع المداهنة الرء

أما الصبية فقد فر لونها وبذلت جهد الجبابة لكي تغلب
على نفسها ولا تدع وجهها ينم عما تشربه من الاشمزاز
والتفود .

...

وصعد الجندال جزءا من السلم . ثم التفت الى صوفي وسألها :
- أين توجد غرفتي يا صبيه ؟ !
فجاءته بسرعة :

- في الطابق الاول يا سيدى : وقد اعدت لاقامتك .
- حسنا أيتها الصغيرة . أحرصى دائما على أن أجد النار
تتأظي في موقد غرفتي .

.. دها ونظارة أخرى .

وقبل أن يواصل سيره . تطرق برأسه بفكرا . ثم أسر
بضم كليات . انى ضابط خالعه .

فنظر الضابط بدوره الى صوفي . ثم غمز بعينه . ظهرت
على وجهه علامة الاذتياح للهبة التى كلفه بها الجندال . فنزل
السلم . . رعا . وخرج من الفندق الى الشارع

أما الجندال فإنه أصدر أوامره انى ضباطه ذات اليمين

و ذات اليسار بضجر وفروغ صبر ثم صمد السلم . وتبعته صوفي
لتدله على غرفته . وتشعل له النار في الموقد كما طلب :

....

ورأى الجنرال أنه ليس في العرفه سواهما . فاغلق الباب
وأقبل على الصبية بلطف . وأراد أن يحيط خصرها باللين
الجميل : بساعده النوى . ولكنها هزت منه . وتراجعت الى الوراء
فهتف :

— هـ تنمرين منى بإقتاة ؟ : ألم تجدى الى الآن واحداً
من مواطنيك يقول لك انه من الخطأ حتماً أن تقوم صبية في
مثل جمالك الفتان . بمثل هذا العمل الحثير في هذا الفندق ؟
ثم اشار بإصبعه الى ثيابها البسيطة وأخذ بعد ذلك يقتل
شاربيه بكبرياء ويقول :

— كوني مريحة ايها الحسناء واخبريني أيهما تفضلين
هل تفضلين أن تضعي المكينة بين ساعديك أم تفضلين
أن تضعي بينهما قائما عظيماً مثلي
فاجابته انما بتواضع مفتعل وبمنمة جعلته يشعر كأن
كلماتها سياط تنهال على قماه :

— عفوا يا صاحب السمو اني افضل المسكنة

...

ولسكن الجنرال لم يكن من الرجال الذين يتطرق اليأس
الى قلوبهم بسهولة

تم انه كان نفورا من كزه السامى فاعتقد ان الفتاة مداعبه
كما هي عادة الفتيات الخليمات وان هذا انفار الذى تتظاهر به
انما هو ضرب من ضروب الاغراء والشجع
فاقبل عليها يتجيب اليها ويحاول أن يحتويها بين ساعديه
وهي تفر منه برشاقة وخفة . وتتحاشى في الوقت نفسه أن تثير
غضبه وتحرك موجدته

وكاد في آخر الامر أن يستولى عليها لولا انه سمع قرعا
خفيفا على الباب . ثم فتح باب الغرفة ودخل الضابط الذى
كان جوزوفتش قد أسر اليه على السلم كلمات لم يسمعها احد
سواه . وقال :

— قد قت بالمهمة يا مولاي . وبالباب رجاء يحمل ما طلبته
فهتف الجنرال :

— احسنت يا جريجور . لا شك انك رجل نشيط .

وسوف اذكر لك . هارتك هذه في انقاذ أوامري
دع الرجل الذي عثرت عليه بهذه السرعة يدخل
فتنحى الضابط جانبا وافسح الطريق لرجل قصير القامة
له انف كمنقار الصقر يحمل بين يديه حزميتين كبيرتين
فبعد أن أدي الرجل التحية . راح يقول :
— هاأنذا تحت امرك يا صاحب السموان لي حانوتك
بالقرب من هذا الفندق . ولكن تجارتني لا تجددوا جاسيب
هذه الحرب الصروس :

على ان انتصارك يا مولاي وقدم حيشك المظفر . قد
ارجع الطمانينة وأعاد اليها الى مجاريها وأمني كبير الآن في
ان اوزع جانبا من بضائمي ونو بمر ربح لاني يا مولاي اقمع
بالربح القليل وأما بالنسبة الى سموك فاني ابيعك ما تطاب
بأي سعر تريد

وقد حدثني بك كالحريم في بيتك يا مولاي . حسنا
عجب . هي بشكيرة كثيرة من البخور واللبان واللبان
انظر يا مولاي . انظر

قال ذلك بلهجة مضحكة جعلت الا بتسام يصعد الى شفتي
الجنرال وصوفي ثم أخذ يعرض مضائعه والخادعة الحسناء تنظر
الى الثياب الحريرية بما طبت عليه النساء جميعا من الفضول
دون ان تعرف النرض من هذا الكرم الخائى الذى يندقه
عليها الجنرال بهذا السخاء

فاتقى الجنرال ما اراده لصوفي : ثم نقد التاجر اثنى
بغير أن يساومه فخرج هذا الاخير راضيا شاكرا
ثم التفت الجنرال الى صوفي وهذب قائلا .

- انظرى كل هذا لك . لكى لا تقولى اننى اجعل ما تصبو
اتيه الغنيات الحسان

بعد اذ تظن در كنت صوفى المرض الذى يرمى اليه الاله
سوى عايمه مستر و مدمم نحو الباب تريد الخروج :
ولكنه ووب فى طريقها .

وفى هذه اللحظة سمع صرفا على الباب وفتح ذلك الباب
رنة اخرى اجبر ان عيضا وصباح .

- من هذا خبر ان التى جاء بضائقتى فى هذه اللحظة
وكان المقدم هو عين الضابط الذى سمع كلمات الشاء من

فهم الجنرال منذ لحظة فقال بصوت المذنب
- عفوا يامولاي عفوا ولكن الجاسوس يتروف قد
جاء في هذه اللحظة وهو يقول أن لديه معلومات في شدة
الاهمية يريد أن يدلي بها اليك
فتغيرت ملامح جوزو فقتش في الحال وظهرت على وجهه
علائم الاهتمام وقال وقد نسي محاولاته الغرامية :
- اذن دعه يدخل في الحال ..
وفتح الباب مرة أخرى ودخل منه رجل نحيف القامة
يلبس معطفا طويلا وقبعة من الفرو
فانتهزت صوفي هذه الفرصة وانسلت الى الخارج

الفصل الرابع

الجالسوس

وفي هذه الاثناء . كان الضابط الشاب الكونت ماسي قد دخل ثيابه العسكرية واسلحته واستعان بكازيمير على اخفائها . ثم ارادى ثوبا قديما من ثياب الخدم . وتأهب للقيام بالدور الذى فرض عليه أن يلعبه فى ذلك الفندق .

فدخل الكونت الى قاعة الطعام . وأخذ فى اعداد الموائد بنفس نافرة مشمزة . وبعد لحظة لحقت به صوفى .. ورأت فى تقاطيع وجهه آثار العاصفة القوية التى تعصف فى اعماقه . لم تقض عليه الظروف القاهرة ان يلبس ثياب الخدم حسب . بل قضت عليه ايضا ان يقوم بالخدمة . وبخدمة أعدائه واعداً بلانه . الذين يمتهم بكل ما اوتي من قوة . ف راحت صوفى تسر اليه كلمات التشجيع . وتنصحه بان تترك الهدوء والرزانة .

ثم اقبل أحد الضباط . وطالب أن يعد تشاي للجنرال

واركان حربه .

فالتفت صوفي الى الكونت وقالت له :

— جاء دورك يا صاح .. عليك أن تقوم بخدمة هؤلاء
الضيوف غير المرغوب فيهم . وسأذهب أنا لاعداد الشاي .
ولكني استطقت بكل عزيز لديك ألا تقول أو تفعل شيئاً
ينم عن حقيقتك . ويفضح امرك .. والا هلكنا جميعاً .
فوعدها أن يفعل كل ما في وسعه . لاتقان دوره . بدون
أن يمرض نفسه للقضيعة . أو يمرضها هي ورفاقها للهلاك
وبعد بضع دقائق . كان يحمل الشاي الى غرفة الجنرال .
جوزوفتش .

ولم ينتبه الجنرال لدخوله . فقد كانت محوطة بضباطه
العظام : والجميع يتحدثون باهتمام شديد مع الزائر الجديد المدعو
بتروف .

وفي اللحظة التي دخل فيها الكونت . كان الجنرال يحدث
ضباطه بقوله

— فيها الامدقاء .. اذا قل بتروف ان الاعداء يملون
شعبيهم . ويجمعون شنائهم . ويستقدمون الامداد من الاقاليم
المجاورة .

وإذا قل أن قوة مدفيعتهم تفوق قوتنا .. وأنهم يضعون
لنا وراء كل صخرة كينا . ونصبون لنا في كل واد خفا هوأنا
يقول الحقيقة التي لا تقبل شكاً أو ارتياباً . لأن الذي يتكلم هو
بقروف . الذي يمد على الأعداء حركاتهم . ويحصى عليهم
أقاسهم . ولا ينطق بحرف قبل أن يثق من صدقه . ولا يدلي
برأي قبل أن يزنه .

والآن . عليك أيها الصديق بقروف أن نرجع إلى
الأعداء مرة أخرى . وتلمس لنا مكان مدفيعتهم لتتقض عليهم
ونضيمهم . ونجردهم من السلاح الوحيد الذي يمتازون به علينا .
وتق أن جزاءك هذه الأثرة سيكون أعظم مما تتصور .

وفي هذه اللحظة فقط . لاحظ الجنرال وجود الخادم .
وكان هذا الأخير قد وقف في مكانه منذ ما سمع موضوع
الحدث . وقد انفع وجده . وأصبح يحاكي وجوه الأموات
بمع ما ذلله مذكر المزعوم من الجهد ليتغلب على تأثره
بأنه قد شفيته حلتا رتجمان بقوة

ولكن لا يلاحظ عليه أحد هذا الانفعال وأشار إليه

جوز وقتش ان يضع الشاى على المائدة . . . وينصرف
لحال سبيله

فأطاع ماركو : . وغادر العرفة بخطوات متثاقلة .

ولما أصبح خارجها . . لاحظ ان الجدى المكلف بحراستها
غير موجود . . فأجأ الطرف حوله باضطراب . ثم الصق
أذنه بالباب وراح ينصت الى بقة الحديث . وعيناه تلمعان
غیظا وغضباً .

وانتهى ذلك الحديث بان قال حوزمشر محدثا بتروف
- اذهب الآن ايها الصديق فلاديمير بتروف . والله
يعينك ويمدك بتمرة من عنده . واعلم بان نجاح حيشنا . وفشل
اعدائنا . يتوقف على الانباء التى انتظرها منك هذه المرة
بسرعة ودقة .

وكانت صدره تتمطر بعبرة الكونى ساسى . فربغ صبر
نحو استبطائه . بانوت ان يكبر تداصلا مكروها . وفترات
اليه . وويته على الخالة التى ذكرناها فى اربعة اعداد الباب
ونحنذاف سراج يا وور . بن الضبط واليد .

فاستولي عليها الفزع . . وجذبت به بقوة . . وسارت به
الى غرفة الطعام . وهناك قالت له مؤنية .
انك نجون يا هذا . . ولوراك أحد علي تلك الحالة
لما كان اصيبك غير الموت انزوام
مرف الذاب .

— ان ذاعباً بالموت . . انت لا تعرفين . . انت
لا تعرفين شيئاً .

هذا الرجل الذي يسمى "بوتون" هو بتروف . . بتروف
جاسوسهم لسمور . . ادر . . فهم اني هذا النصر السريع .
والذي . . كل . . ابد . . بصر عليه .

—
بوتون
و . . على . . هاك

—
يجب
لما

آخذة في الاقتراب .

وما هي اللحظة : حتى مر بتروف يتبعه ضابطان
فجمع الكونت ماسي قبضته واوشك ان يرتكب حماقة
جديدة . واسكنه شر باصابع صوفي تهتز فوق كنفه : فتذكر
في الحال انه لا يستطيع ان يقوم بشيء من التصحية في سبيل
وطنه . . مالم يعرض للخطر حياة هذه الصبية المسكينة التي
تعمل على انقاذه .

...

وانقضت قيمة ذلك النهار . دون ان يحدث مائة دقيقة
الامبراطوري ما يستحق الذكر .
وفي المساء : كانت صوفي والكونت ماسي وكازيمير
وانطوان يتناولون طعام العشاء . من اقل ضابط يتبعه احد
الجنود . . ونظر الى صوفي براءة وقال لها .

— قد صدر ال الامر بحبس الاربعة الشخصيات التي
نخص نية هذا المذنب .

فبيض الطاهي اظه ان في الحاضر . حيا وذا اثر من الهاء
الوانتي من قده . وأخرج من . المحنة صغرة . خاير

بعض الاوراق . وقدمها للضابط بهدوء واطمئنان
وانتهزت صوفي فرصة اشتغال الضابط بفحص هذه
الاوراق . وهمست في أذن الكونت ماسي . الذي كان يتناول
الطعام بجوارها :

— كن مطمئنا . ودعني أعمل . ووافقني على كل ما أقول
ونهمضت هي بدورها . وجاءت باوراقها الشخصية .
ثم التفت الضابط الى الكونت ماسي . وقال له بلهجة
جافة . .

— وأوراقك ؟ ؟

وعندئذ بادرت صوفي الى مساعدة الكونت بان قالت
الضابط . .

— انه فقد أوراقه منذ بضعة أيام . وكان هو شخصا
شديد الحزن لذلك ولكن كن مطمئنا . انه يشغل معنا منذ
مدة طويلة وكلنا نضمنه .

هز كازيمير رأسه واقفا . أما انطوان فانه ابتسم بنحيب
زاكن نظيرة صارمة من عيني صوفي . جعلت الابتسامة
تلاشي فوق شفتيه .

ولكن الضابط لم يقتنع بهذا العذر وقال للسكونت
ماسى بنفس الخشونة :

ليست معك أوراق ؟ اليس كذلك ؟ هذا مسمى . ومسمى
جدا فى أوقات الحرب . وعليك أن تجيب عن ذلك أمام جهة
الاختصاص .

أما الآن فاتبعني .

وأشار لى الجندى الذى معه أن يهبط على السكونت
وعبثا حاولت صوفى أن تغم عنه . وشمعت فى حرس
مخرج الموتف . ولكن ذغنها كان يكاد ويكده بسرعة البرق
الخاطف . فانطلقت لى الحال لى سرفة الجنرال . وطأت لى
الجندى لى بحرس الباب أن يسمع لها بمقابلته .
ولكن الجندى هر رأسه وقال :

مسيحيين آتية .

مسيحيين فى يد رسيه . واندركت لى سكونت اد
خارج من القنصلى مارى . فاصبح اسره مسدده لاحتها
فأت .

— عندي شيء هام . ريد أن أقضي بها يه لى الحال

فاذا لم تسمع بالمقابلة فاني اؤكد لك انه ينزل بك عقابا
شديدا .

وقد نطقت بهذه الكلمات بنبات ورباطة جأش بما
اقلق الجندي .

فقرع الباب . ولما سمع صوت الجبرال يسمع له بالدخول
نحى وقال .

— عفوا يا صاحب القصور ولكن يظهر أن لدى
الصدبة أشياء هامة تريد أن تقصي بها الى سيموك :

...

وكان الجبرال ممبدا على مقعد كبير . يستريح ويسهر
في ذلك

وقد برهت من حركته كثير من رتيبت في دار البلدية
تكريما له . . وقدت فيها لشعبانيا . وأنواع النبيذ

فمن من مقعد مشاق . متجهم ولكن وجهه تهايل
شرا في الحال . عند ما وقع بصره على الصاية . الحسنة

وهنف :

— آه . أهذه أنت . ادخلي .

ادخل أيتها الحسناء .
ثم التفت الى الجندي وأردف :
— أما أنت فاخرج أيها الحيوان . ولا تدع أحدا يخلق
خبرتي بهذه الساحرة .

تخرج الجندي مسرعاً . .
وراحت صوفى تقول
— يا صاحب السمو . : انهم يريدون القبض على أحد
الخدم . لانه الضاع أوراقه للشخصية من سوء الحظ . فاضرع
اليك أن تتدخل في الامر . ونحول دون ذلك .
فقطب حاجبيه وقال :

— أهذه هي الاشياء المهمة التي ذكرها هذا الجندي النبي !
فرفت اليه عينيها الصافيتين الساحرتين ووضعت في
نظرتهما كل ماني كينوتها النسوة من قوة الاغراء . والتشجيع
وقالت له بصوت أعذب من أنغام الموسيقى
— وهن يوجد ما هو أجمل من هذا يا صاحب السمو . .

الخدم في هذا الفندق قليلون . وبالكاد يستطيعون القيام
بما يأمر به سموكم

تعال يامولاي . تعال وانظر ذلك بعينيك .
وتناولت يده بلطف . وجذبتة معها بغير كلفة .
فتبها وعلى شفقيه ابتسامة :
ولما وصلت به الى غرفة الطعام . وجدت أن الجندي
قد خرج بالكرونت ..

فمروا الى النافذة . وقالت للجنرال :
- انظر يامولاي .. انظر . انهم يخرجون به .
أضرع اليك أن تمنهم من اقتياد هذا الشاب الباسل
الذي اعتبر وجوده في الفندق ضروريا لتنظام العمل . واقسم
لك يامولاي انه أبعد من أن تحوم حوله الشكوك .. أنا
ضامنة له وكذلك كازيمير

اليس كذلك يا كازيمير ؟
- نعم يامولاي .. نعم . أنا أضمنه بقيتي

وكان الجنرال تملأ بنشوة الشمبانيا التي جرعهما بغير حساب
من حفلة دار البلدية :

فلم يمد يشر الا بالجسد الدافئ الغض الجميل . جسده

الصبية الحسناء . وهي تلتصق به . وتضرع اليه بنفها ونظراتها
أن يخلص الخادم

فضرب بالعقل والرؤية عرص الحائط . وأطل من
النافذة . وصاح

— اتركوا هذا الرجل

وما هي الا لحظة . حتى وجد السكونت ماضي حراً
طليقاً على غير انتظار . .

فرغم عيبه الى النافذة التي صدر منها نور الافراح . .
ورأى صوفى واقفة مع الجبال جيباً الى جيب .
وتهدت صوفى باريح شديد . فلما ازيح عن صدره
حمل ثقيل . ثم عمدت بضع كلمات تشكر بها جوزوفتش .
وهمت بالعودة من حيث أتت .

ولسكن جوزوفتش . فكان يسطر هذا الجور
بدمع من الصدمة حراءاً غير مدد
حسرة فكان يسطر هذا الجور

ورث القنات طيبتها خبيثة وبعد اظرفها

انه من الحكمة وسدد نواحي رغبه

حتى لا يرجع في الامر الذى أصدره . . وبلغى العفو الذى
نميل به السكونت ماسى

ولما دخلا مخدعه . مد الجنرال يده . واغلق الباب بسرعة .
ثم أشار بأصبعه الى كومة الملابس والجوارب الحريرية
التي ابتاعها من اجلها . والتي بقيت في موضعها ذلك منذ الصباح .
وقال باصرار :

— قلت لك قبل الآن اننى ابتعت كل هذا من أجلك
واننى أود من صميم قلبى أن أساعدك على استدال ثيابك .
فاسرعى اذنت . . فانى في غاية الشوق الى رؤيتك
والإعجاب بك . في هذا الثياب التي تليق بك

وعندما نطق بهذه الكلمات . رأت صر فى في عينيه بريق
الوحشية والقساوة . فلم تقزع . ولم ترتعب . وضلت ترى أن
من حسن الحيلة أن تنزل على ارادته حتى اللحظة الاخيرة .
الى أن تهدأ تأثيرته ويخلد الى السكون

...

ولما أراد أن يساعدها على استبدال ثيابها .. لم تسمع له
بذلك في شيء من الرقة . وتراجعت وراء حاجز في العرقة .
وخلفت ثيابها القديمة وارتدت الثياب الجديدة .
وخرجت من وراء الحاجز . في غلاتها الحريفة الرقيقة
التي تكشف عن تكوينها البديع . وقوامها اللين المعتدل ..
وشبابها اليانم .. وبدنها الذي يحرك الدم في عروق السكون .
ولما وقع عليها بصر جوروفتش . وقف الرجل مذهولا
مفغورا انتم . يقلب يديه دهشة . ويهز رأسه عجباً
ثم تقدم إليها باسطاً لها ساعديه ليحتويها في يدها . ويضمها
إلى صدره :

ومرت في جسد أتمة قشيرة قوية . حين رأت الوحشية
والبيعية اللتين تم عنها تقاطيع وجهه .
ولسكها كتمت أشمزازها وملك شموورها وسمحت
له أن يهبها تخديراً لا عصاة

ومارات به تدعو نصاحكه ويغلا كأسه . ولعله
اليعود حينئذ إلى موطنه الأشيق . يحور في رؤسها قبل جفناها
سيفه رأيه على صدره . ويسلم لسلطان اليوم . فانهزفت

الصبية هذه الفرصة وفتح الباب وانسلت منه الى الخارج

...

ولما عادت الى قاعة الطعام . وجدت الكونت ماسى
في انتظارها وقرأت في عينيه علام الدهشة الشديدة والا عجاب
المعيق حين وقف بصره عليها في تلك الثياب الانيقة
كذلك ! لا حظت على وجهه آثار النيرة والقلق واكنها قضت
عليه كل ما حدث فتناول يدها ورفعها الى شفتيه وطبع عليها قبلة
طويلة حارة دلالة على شكره وامتنانه

الفصل الخامس

انا القائل

وانقضت بعد ذلك بضمة ايام توثقت في خلالها أواصر
"لالة والمودة بين الخادم المزعوم : والخادمة صوفي :
ثم أخذت هذه العلاقة تتطور بسرعة . حتى استمالت
الى عاطفة أخرى متلبية . وأصبح كل منهما يعد الدقائق التي
تقضيها بغيره بعيدا عن زميله :

وكفت صوفي عن العمل طبقا لأرادة الجنرال الذي كان
يجب أن يراها دائما رشيقة خلابة . في نياها الحريرية الجذابة
ورأت صوفي أن تنزل على غرضه . وتسمح له في بعض
الاحيان أن يغازلها ويتعجب اليها . وهي تعلم حق العلم أن
سلطانها عليه . وآماله فيها . ورضاه عنها . كل ذلك خير ضمين
سلامة انكرونت السكونت الكسيس ماسي .

وقد قامت الصبية الخبيثة بدورها حتى قيام : فكانت
تثير بها أعجاب الجنرال اني أفصي حذ . ونحلب لبدبر شاقها
وننزادعه بخلاعتها . . ثم لا تسمح له قط بما يشتهيها . حتى

ضاق الجنرال ذرعاً بها . واستولى عليه النعيط وفروغ الصبر .
أما الكونت ماسي . فانه كان يراقب بقلق لا حد له
هذه اللعبة الخطيرة التي اقدمت عليها صوفي من أجله .. ولا
يعلم كيف ستكون نتيجةها .

وفي ليلة ما . . اقام الجنرال جوزو قتش في الفندق
الامبراطوري حفلة راقصة . استقدم اليها بعض فتيات المدينة
المختلة .

وجرع في تلك الليلة من كؤوس الشبانيا ما ذهب
بوعيه . ورقص مع صوفي اشواطاً عديدة . ثم اختصرها ..
امشي بها الى غرفته . والقناة لا ترفض ولا تنمرد .

وعند ما وصل الى غرفته . تهالك على منعه .. واجلس
الصبيبة على ركبتيه . وأخذ يداعبها . ويختلس منها القبلات .
ويقول لها انه لا يستطيع عنها صبراً اكثر مما صبر . وانها لا بد
من أن تنزل على رغبته في تلك الليلة ذاتها .

٥ - الفندق

وكان يتكلم باصرار وخشونة : حتى ارتفعت الفتاة .
ولسكنها ظلت دائماً سريرة الخاطر . حاضرة الذهن ..
واسعة الحيلة . فتظاهرت بأنه ليس أحب اليها من أن ترضيه .
وتنزل عن رغباته .

ثم استأذنته في بضع دقائق . تعد اثناءها مخدعاً قاتلاً
من مخادع الفندق الامبراطورى . وقع عليه اختيارها هي
ليقضي فيه مما تملك الليلة اللذيذة .. فسمح لها بالذهاب وهو
يكاد يطير فرحاً وسروراً .

...

ونزكت الفتاة . ودخلت الى الغرفة المجاورة وهناك راحت
تفكر في كثير من القلق .

كانت تريد في هذه المرة ايضاً أن تتجنبه . بغیر أن تثير
غضبه . وقد تمسك هذا الدبى لتجلبو فيها الى نفسها متى
أن يتفق . مع طرحه ، لا مع تخلصها من عرسه ، امرامية .
التي كان شريكها في كثير من رعبها ، بهول ال قبح
كل . احب . فمما علمت برحمتها بما يمكن تأملها في
أو توقعه

فان جوز وقتش لم يكذب يخلو الى نفسه ويصور له ذهنه
ذلك الافق العريض من السعادة واللذة الذي ينتظره بين
احضان الصبية في تلك الليلة حتى استولى عليه نوع من السرور
الوحشي . فاقبل يصيب الخمر ويزدريها بجشع .

وكان يدين الجسم . فصعدت البخرة الكحول الى رأسه
بسرعة . وثقلت اجفانه مرة أخرى . فنام في مقعده نوم عميق .

...

أما صوفي . فاتها ظلت في الغرفة المجاورة الى أن سمعت
قطيطة الجنرال . . فابتسمت بسرور وارتياح وخرجت من
الغرفة في بطة ، وهدوء وقامت للجندى الذي يحرس الباب :
— بن جندى تائم . ولا تدع احدا يوقظه . انه امر
بذلك قبل أن ينام

فاطرق الجندى برأسه

كان الخياط في اصابة الكبري . يقصون ويضحكون
في سرهم حزين صجيج . . ثم تسمعون اسم متاملة . وراحت
تجهد . . الكبري . . تسمعون في عمل الذي تضاعف
بسبب المرقص

ولسكنها لم تجده .. بل وجدت كازيمير وهو يروح
ويجى به بقلق شديد

فلما وقع بصره عليها . أومأ اليها بان لديه ما يقوله لها .
فالتربت منه . وهمس فى اذنها :

- اننى فى أشد حالات القلق . فقد عاد جاسوسهم المشهور

فلاديمير بتروف اثناء غيابك مع الجنرال

وقد استطعت أن اسمع من أفواه بعض هؤلاء الضباط

السكرارى . أن الجاسوس يحمل أنباء على جانب عظيم من الخطورة

وكان الجاسوس متعباً منهوك القوى . فطالب أن يفتسل

وباستبدل ثيابه . قبل أن يقابل جوزو فتش

فصعد معه السكونت ماسى الى الطابق الثانى ليقوم على

خدمته . ولسكنه لم يعد بعد ذلك .

ربما كان قلقى لا اساس له . ولسكنى فى أشد حالات

الحيرة والفرع .

...

لم تنظر صرفى لذه من أكثر من ذلك . فصعدت السلم

سرعة . وأخذت تفتش عن السكونت ماسى فى الطابق الثانى

ولكنها لم تجد له أثرا .

تساءلت :

فري ماذا أصابه ؟ وهل يمكن أن يكون قد وقع في
قبضة ذلك الجاسوس اللعين ؟

ثم هل يمكن أن يكون قد غادر الفندق بغير أن يقول
لي كلمة . وبغير أن يدعي ؟
وعصفت شفتيها بمرارة

ولما اقتربت من الجناح لحاص بالمفصل والحمام . سمعت
صوت طلق روى مكتوم .

فذهرت . ووثب قلبها بين ضلوعها ولم يستدام قدماها أن
يهرقها . فارتدت عن الحداد ورفعت يدها إلى قلبها كأنها
تريد أن تفتحه .

ثم مدت يدها لترجيبة إلى باب أنسل وفتحته
وذكرت ذلك الباب مفتحا من الداخل كما ظنت بادي .
ولما كانت قد دخلت في الحانة

وجدت في حجرها على منضدة رجل الدم يجعد في عرقها

رأت الجاسوس فلاديمير يتروف ممدداً في أرض الحمام
والدم يسيل من جرح في صدره وهو جثة هامده لا تأتي بحركة
وقد وقف الكونت الكسيس ماسي على بعد خطوتين
منه وفي يده مسدس لا يزال الدخان يسبح امام فوهته

...

وتنبه الضابط الشاب الي دخول صوفي ورأى علام
الفرع والانزعاج على وجهها الشاحب
فلم يترك لها الوقت الكافي لتلقى عليه آلاف الاسئلة
التي تتراحم على شفيتها بل راح بنفسه يقول بصوت هادئ
- نعم أنا أنا الذي قتلته فقد أعددت له الماء ليغتسل به ثم
ذهبت لآتيه بالمنشفة .

ولما عدت . وجدته داخل الحمام . ورأيت على هذه
الطاولة الصغيرة اوراقا عديدة . علمت في الحال أنه لابد وان
يكون بينها تقريره عن المهمة التي اتفذه فيها جوزه قتش منذ
أيام . والتي تتناول تحديد قوة جيشنا . ومخايب مدافعا .

وكان قد وضع مسدسه هذا فوق الاوراق
هازحته قليلا . وتناولت تلك الاوراق واخذت

أقرأها بسرعة .

وأواه يا صوفي لو علمت ما بها

ان فيها المهلاك المحقق لجيشنا والانكسار الذي لا قومة
ثوطننا بعده وفيها القضاء على حياة الالاف من شبابنا النافع
قد عرف الجاسوس التمس مرة أخرى كيف يتكر
ويتدس بين جنودنا كأحد المتطوعين ويتسقط منهم الاخبار
دون ان يقطن اليه احد.

واستطاع الشقي ان يذكر عدد جنودنا على وجه التقريب
ويحدد مواقع الضعف في جيشنا ويعين مخايب المدافع التي
وضعناها في المعابر والكهوف لتصلبهم بها نارا حامية . اذا
خطر لهم ان يقتحموا النصف الاخر من البلاد يعملوا فيه
الزهر والتخريب كما فعلوا في نصفها الاول

وقد استولى على الغيظ . وأعماني الحقد فلم احسب حسابا
لخطر الذي يهدد حياتي الى ان قرأت تقرير الجاسوس برمته
وعرفت بموقف جيشنا ومركزه على وجه الدقة وبينما انا
كذلك اذ فزع باب المغسل وسمعت صوت الجاسوس وهو يقول
- ويا لك ايها الاثيم .

ورأيت في عينيه برق العذر . فالتقطت المسدس في الحال
وأطلقت عليه . ثم تناولت الأوراق الهامة . والقيتها في الموقد .
وما هي النيران قد انت عليها

وأشار بإصبعه الى الموقد حيث صارت الاوراق ومادا
ثم اردف .

— لست آسفا على شيء . وقد قتت بواجبي على اوجه

الذي برضى ضميري

لم يكن هناك مجال للتردد . فاما حياته واما حياة الالاف

من رجالنا قتلة في الحال

وبستطيعون ان يصلوا بي الآن ما يريدون .

فقطرت اذنه الصبية بعينها الواسعين الصافيتين نظره

تم عن الحب والتقدير العميق

وقالت له .

— لا اريد ان تهملوا شيء . ولا أن يرتابوا شيء .

يزعجوك

نطقه لسيبه ممدد "كنا"

ثم "موت حياة" فلم "تس"

الصلاة الكبرى

لا شك أنهم لم يسمعوا الطلق الناري

وكانت في هذه الاثناء قد استعادت رباطة جأشها
فتناولت ساعد الكونت مامي وذهبت به الى غرفة مجاورة
وفتحت في هذه الغرفة بابا يؤدي الى الممسح
ثم أخذت الممسح من يد الكونت ووضعت على أرض المسك
وأعادت باب للمسح (الحمام) من الداخل، وخرجت من
الباب المتصل بالغرفة المجاورة ثم أغلقت هذا الباب أيضا، وتعاونت
مع الكونت مامي وحملتا معا خزانة كبيرة للثياب، ووضعاها
أمام هذا الباب.

ولما سمعت كل ذلك بسرعة، وبدون تردد

ثم قالت:

— انه الآن قريب في الحمام، وباب الحمام منطلق من الداخل.

ولباب الآخر الذي يؤدي الى الحمام يستعمل.

مدة بضع دقائق، وأمامه خزانة ثياب كبيرة

وهو يطمئن بهد ذلك أن يستمدد بأن يتوقف قد انتحر.

فأذهب الآن إلى غرفتك . وإذا سألك سائل . فقل أنك
أعددت له المنسل . ثم اذن لك بالانصراف فانصرفت . . ولم
تر بعد ذلك شيئا . ولم تسمع شيئا .
فهن الكونت ماسي رأسه وقال :
— لا أريد الفرار من مسئولية عملي . كما يفر الجاسوس
الحقير

انني جندي . وإذا كان ولا بد أن أموت . فلامت كجندي
فاقتربت منه الصبية في تلك اللحظة الرهيبة . وزفمت
إليه عينيها الواسعتين الحزيتين وتهدت من أعماق قلبها الذي
كاد في تلك اللحظة أن يذوب اشفاقا ووجدا :
وقالت :

— أتريد أن تموت ؟ ألا يوجد على ظهر البسيطة مخلوق ...
أي مخلوق يصح أن تعيش من أجله ؟
...

وكان صوتها من العذوبة ونظراتها من الرقة بحيث لم
يستطع الشاب إلا أن يهوى على فيها الجميل بقبلة طويلة حارة
وقال :

- بل سأعيش . وأعيش من أجلك ومن أجل الوطن
انك فعلت من أجلى ما لم تفعله امرأة من أجل رجل
قبل الآن . فانا أحبك وأنزل على ارادتك . وأنا افعل ما
يوحى به الى ذهنك الصافي ورأيتك السديد .

...

وكانت تعلم أن الوقت ضيق لا يسمح للمنازلة فقالت له
وهي تخرج امامه بحذر :

- سأذهب انا وعليك أن تتبعني بعد بضع دقائق كي لا يرانا
أحد سويًا فتعرض لخطر آخر

ثم اذهب بعد ذلك الى غرفتك وأسترح من عناء
ما قاسيت هذا المساء

...

وخرجت فانتظر بعدها دقيقة أو بعض دقيقة ثم أراد
أن يخرج في اثرها ولكنه سمع في هذه اللحظة وقع أقدام
يقرب فتراجع الى الوراء واختفى وراء إحدى الستائر

الفصل السادس

تضحية امرأة

دهش الضباط الذين استقبلوا فلاديمير بتروفيش من غيابه
وتوانيه فقد انقضت أكثر من عشرين دقيقة - وهي مدة كافية جدا
للاغتسال واستبدال اثياب - ولم يعد الجاسوس المشهور
ولعل فضول الضباط وشوقهم لمعرفة اخبار الجاسوس تلك
الاخبار التي توقفت عليها حظرتهم الحربية التالية لعل ذلك
ما جاءهم سنبطونه بأسرع مما يجب
ثم أن الجنرال جوزوفتش كان ينتظر قدوم هذا الجاسوس
منذ يومين وهو في أشد حالات القلق
وعليه فقد صعد بعضهم في اثره ليحثوه على الاسراع
ولكنهم وجدوا الباب مغلقا من الداخل بطرقه فلم
يتمكنوا من الدخول في سمعوا جروا قريبا منهم
وصاح عزيمتهم في أن يخشوا الباب فتكأرا عينا بكتانهم
الحربية بهرقة ودموعهم دفعة واحدة جدهم يندب من مكان
وعندئذ وقعت ابصارهم على الجاسوس الذي لم يترك

أرض المسكان وغارقا في بحيرة من الرماء
اندفعوا اليه وراحوا يحركونه ولسكنهم وجسده
جثة هامدة

فأسرع بعضهم الى غرفة الجنرال ليخبره
ولسكن الجندي الذي بالبواب تذكر كلمات صوفي فمنهم
من الدخول بحجة ان الجنرال يريد أن يستريح
غير أنهم اصرروا على طلبهم نظرا لخطورة المسألة والحفوا
على الجندي أن يوقفه من نومه

- ولسكن الجنرال استيقظ من تلقاء نفسه وراح يستجمع
أفكاره المضطربة المبعثرة ويبحث بعينه في جوانب الغرفة
عن صوفي الساحرة

وفي هذه اللحظة سمع جبهة الضباط خارج غرفته قهقش
وفتح الباب بنفسه

وعندئذ أخبره الضباط بما حدث من عودة فلاديمير
بتروف الى موته وقال أحدهم .

- وجدنا باب المنسل مفتحا من الداخل ومسدسه ملقى
الى جانب جثته فليس اذن ثمة شك في انه انتحر

فهز الجنرال رأسه غير مصدق وقال : - انتحروا؟؟ . لقد
قلم لي انه اخبركم بأنه جاء بانبياء على جانب عظيم من الالهية
والخطورة

فهل تعتقدون انه بعد أن خاطر بحياته في سبيل استلقاء
هذه الانبياء يحىء الى هنا لينتحر؟؟!
هذا غير معقول

قولوا انكم انخدعتم بالمنظر الذى رأيتموه امامكم . والذى
قد اعدده القاتل أو القتلة على سبيل التفرير والخداع
أما أنا فأقول . واؤكد أن تتروا مات قتيلا
ولسكن من الذى قتله ؟ وكيف ؟ . وماذا ؟! هذا ما أمل
أن نصل الى معرفته قريبا جدا

سأصعد بنسى والخص مكان الجريمة ثم استجوب كل
الغرباء فى هذا الفندق

وانتم عليكم أن تصيروا الايام فى حيرة
جميع غرف الفندق . وربما يجدون القاتل مخفيا على خبايا
أصالح من شأنه بفدور الاستطلاع وحسد الى طابق الثانى
وهناك وجد جثة الجاسوس كما تركتها صوفى

ولما وقع بصره على الموقد ورأى به آثار الأوراق المحترقة
لم يعد لديه شك في أن الجاسوس مات قتلا وإن قاتله إنما أراد
الاستيلاء على أوراقه ومنعه من الإفشاء بالمعلومات الهامة التي
عرفها عن جيش الأعداء

فاستشاط الجنرال غضبا ونزل السلم مسرعا
وكان حبر الجريمة قد وصل الي كل الاسماع فكف
الضباط عن الرقص

ودخل الجنرال الصالة الكبيرة وهو مقطب الجبين .
منجهم توجه فساد الصمت العميق وانجبت اليه كل الانظار
وحبس الضباط أنفاسهم في انتظار الأمر والجراءات الجديدة

...

ثم الجنرال حوزوفيتش فانه جالس امام طاولة صغيرة
وأحاط به أركان حربه

ثم أمر باستدعاء خدم المصدق وأخذ يسجوبهم بنفسه
وكانت سيرة في قد عادت ورأت كل هذه الإجراءات
الخصيرة متع نونها ويسكن جوزوفتش لم يفكر في استجوابهم
لاعتقائه بأن هذه المخلوقة الساحرة لا يمكن بحال من الاحوال أن

يكون لها ضلع في مثل هذه التجربة الرائعة التي تتشعب منها إلا بداز.

...

وجيء بانطوان وكازيمير وبعض النسوة اللواتي ذهبن
الاشتراك في المرقص وأخذ الجنرال بنفسه يستجوبهم واحداً
بعد واحد ويطلب منهم أن يقدموا له حساباً دقيقاً عن الساعة
الآخيرة وكيف صرف كل واحد منهم كل دقيقة من دقائقها
فعلوا ذلك ولم يجد الجنرال في أقوالهم ما يريد
رأى لا لحظة حتى أقبل الجنديان اللذان أنيط بهما

تفتيش الفندق ومعهما ماركو المزعوم
وكان ماركو أو بمعنى آخر الكونت ماسي قد اختأ
وراء الستار كما ذكرنا إلى أن حطم الضباط باب المفصل واكتشفوا
حثة الجاسوس ثم هربوا لئلا يقتل الخبر إلى الجنرال كما مر بك
ثم صعد الجنرال ليرى الجثة بنفسه وسمعه الكونت
وهو يشتم ويصخب فحبس أنفاسه إلى أن خرج الجنرال
وانبأته فانتظر لحظة أخرى ثم خرج من مخبئه ومشى في
طريقه إلى غرفته

ولكن الجنديان صادفاه في الطريق فقبضاه به وساقاه إلى الجبرال

وبدأ الجنرال في استجوابه ... فكان السكونت يجيب على
سئلته بما او عزت به اليه صوفي .
الى ان اخرج به الجنرال باسئلته الكثيرة الدقيقة . فقال
مرة أخرى .

— انا لم ار شيئا . ولا اعرف شيئا
كل ما هناك اننى اعددت له المنسل . وجئته بالمنشفة .
ثم صرفنى فاصرفت ... هذا كل ما هناك
فقال جوزو قتش بحدة .
ولكن اين ذهبت بعد أن صرفك !! هذا ما أريد
ان اعرفه .

وصمت الكونت الكونت ماسى . وظهرت على وجهه
علام الخيرة

قال الجنرال .
تكلم يا هذا . وأخبرني ماذا فعلت بعد أن تركت
يوسف في المنسل . الى ان قبض عليك الجنديان !
سكون . وصمت

قل الجنرال :

انك تكلم شيئا . ولا ريب .. ولا تريد ان تعترف
بانك القاتل

اذا كنت بريئا . فانك تستطيع ان تبرهن على ذلك بكل
سهولة وبساطة : وما عليك الا ان تجيب على سؤالي هذا ..
وسأترك لك خمس دقائق للإجابة . فاذا لم تتكلم . القيتك
في السجن وشنفتك في الصباح : بدون اى تحقيق او محاكمة .
فاختر نفسك ما يحلو ..

وفي هذه اللحظة . ادركت صوفي ان الشاب قد وقع
وانه هالك لا محالة

وساد سكون عميق .. وأخرج الجنرال ساعته .
وأخذ يعد الدقائق

وبينما الجميع قد حسموا انما هم اذا بصوفي تقدم بجراؤه
وهي لائمة المينين .. وتقول بصوت واضح مسموع .
- ماركو .. لماذا لا نقول لهم الحقيقة . ونخبرهم انك قضيت .

ذلك الوقت ممي . في غرقتي .. وفي فراشي ؟

الحريرية فاني لم ادفع ثمنها الباهظ لمزاج عشيقك اللثيم .
فمض السكونت ماسى على شفته .
ودفع الجنرال المائدة دفعة قوية القتها على الارض . وهجم
على الصبية بنخسونة ووحشية . وراح يمزق غلاتها الرقيقة
باصابعه المتشنجة .

ثم صرخ :

— والآن . اخرجى .. اخرجى . وعودى الى مهنتك
الاولى . واكنسى الارض . واسبحى فى الماء القدر .
خذى معك عشيقك 'الدنيء' .. فقد خلق كل منكما للآخر .
ولكنى اؤكد لكما انكما لن تفلتا من رقابتي وانتقامى .
ثم التفت الى احد الجنود وقال له :

— اذهب بهما الى احدى الغرف واسجنهما فيها . حتى
أبت فى امرهما غداً صباحاً . راعى ندمك معهما فى الغرفة
حتى لا يستمتعوا بفرامهما لا تيم

وبذلك اسدل الستار عن هذه القضيحة . أو بمعنى آخر ،
هذه القضيحة السامية . وخرجت صورتى تبعها السكونت ماسى

والجندى المكلف بحراستها .
ومد الجنرال يده الى احذى الموائد . وتناول زجاجة
شيمانيا . فدق عنقها ورفعها الى فمه .
ثم التفت الى ضباطه واركان حريمه . وصاح والدم يملا
عينيه :

— وكنتم أيها الرفاق . ارقصوا .. واشربوا
اليوم خير وغدا امر .
نحن البوه القاذرون المتصرون .. وغداً نجثو كل
« حرجوفيا » تحت اقدامنا ..

الفصل السابع

في سبيل الوطن والحب

دخلت صوفيا والسكونت ماسي احدى الغرف. ودخل معها الجندي المكلف بحراستها .

وجلس كل منهم على مقعد . وراحوا يتبادلون النظرات . وكانوا على مقربة من الصالة فسمعوا هتاف الضباط للجندال .. ثم ضجيجهم وضججكانهم وهم يشربون ويرقصون . وظال الثلاثة على صمتهم . لا ينبس احدهم ببنت شفة . ثم بدأ الجندي يتشاءب .

ثم كأنما اغاظه أن ينصرف الآخرون للهوهم وسرورهم . ويقبع هو في هذه الغرفة ليسهر الليل كله .

ورأت صوفى على وجهه علامة الغيظ . فقالت له فجأة :
- اذا أردت فاني أدلك على مكان الشهبان يا .

فنظر اليها بنحيب .. وقال :

- لكي تنتهزى فرصة غيابي : وتهربى اليس كذلك ؟!

فهزت كتفها وقالت بقلة اكتراث :

- انت مخفي، يا صاح .. لانك تستطيع أن تغلق الباب
بالمفتاح من الخارج .

فرغ بصره الى الباب . ثم تهلل وجهه وقال :
- صدقت .

وتردد لحظة ثم عاد فقال :
- واعد . فاني أرى انكما حملان وديمان .. وماذا يعني
إذا استمتعما بفراكما اثناء غيابي .
انما على شرط

- ماهو ؟

- الا تخبرا الجنرال بذلك .
فضحكت صوفى من بلاهته . ونظرت الى الكونت
ظرة حزن وألم .

....

وصبح عزم الجندي أخيراً على أن يلتذ بطعم الشبانيا
و مرة واحدة في حياته . فخرج من الغرفة بعد أن أغلق
بابها واحتفظ بالمفتاح ..

وما كاد يفيب عن أنظارها . حتى طرح الكونت بنفسه

عند قدمي صوفي وتناول يدها . وطبع عليها قبلة حارة .
وقال :

— أيها الملاك الطاهر . ماذا فعلت من أجلى ؟
فسمعت صوفي قائلة :

— إنك ضيف مقدس في هذا الفندق . ويقضى على
الواجب أن أضحي من أجل سلامتك كل ما أملك
قال :

— أيتها جرجوريا بنسائها . إذا كن جميعا على شاكلت
— لم أفعل غير ما يجب على نحو جدى مخلص يدافع عن بلادى
والآن اصنع الى . لا تزال تستطيع أن تؤدى خدمتي جلى
لوطننا المقدس . : فأنتهز هذه الفرصة ولنسكلم .
تكلسى .

— اذا بقينا في هذه الغرفة حي الصباح . فانتا ودلا .
من انتقام الجبال . وانا اذا استطعنا الفرار .
وصدقت .

قال

— وكيف نستطيعه ؟

- المسألة بسيطة .. متى عاد الجندى . قلنتقض عليه معا .
ونقيده ونكلم فيه . ثم نجرده من ثيابه . وترتديها أنت ..
وتستطيع بذلك أن تنادر الفندق بغير أن يحوم حولك شيء
من الشكوك ..

- وأنت ؟ !

- أنا ؟ ! أنا ، متى في هذه العرفة الي أن تعود . وبعود
معاك حيشنا الباسل .

ها أنت ترى القائد وسباطه يحسبون الخربيع حساب
وما هي الا ساعة أو بعض ساعة حتي يغلبهم الناس فيرقدون
وأنت قد قرأت تقرير الجاسوس بتروف ولا بد أن
تكون عرفت . وترأقرب الفيات الجرجوفية من هذه المدينة
فذهب اليهم عى عجل . وسندهم الي .. وقال لهم أنهم
يستطيعون الاستيلاء على العاصمة بسهولة . ويستطيعون أكثر
من ذلك أن يأخذوا العدو علي غرة . يشتوه عن بكره وأبيه
من التور .. والتهيبات كلهم سكرو كما ترى .

وسأنتي أنا هنا في الانتظار . وعلم أن حياتي وسلامتي
توقفان على اسراعك . فاذا برغت شمس الغد . ولم يخلص

جنودنا هذا القندق . فانك تستطيع أن تستودع عند ربك
روح تلك التي ضحت آخر قطرة من دمها في سبيلك :
فاغرورت عينا الكونت بالدموع . وأهوى على شفتي
الفتاة تقيلا . .

...

وما هي الا لحظة . حتى فتح الباب . ودخل الجندي .
حاملا بضع زجاجات . فانقض عليه الكونت . ووضع يده
على فمه . ثم قيده . ولم فمه بمساعدة صوفي .
ثم جرده من ثيابه . وارتابها هو . وبعد ذلك قبل الفتاة
قبلة أخرى طويلة حارة وخرج بودعه صوتها الحنون وهي تمنم
- الوداع .

وفي اليوم التالي . لم يجد الجنرال جوزو وقتش وقتا
للتفكير في صوفي . فانه استيقظ في الصباح المبكر . على دوي
للمدافع . وطلقات البنادق :

وجاءت الانباء بان جيشا جرارا من الجرجوفيين تحت
قيادة الكونت الكسيس ماسي قد اجتاحت المدينة . وأوشك
أن يستولي عليها :

ولم يجد الجنرال جوز وقتش من الوقت متسعا الا ليصدر
أمره الى ضباطه وجنوده بالتقهقر .

وقبل أن ينتصف النهار . كان الاعداء قد جلوا عن
المدينة وأخذ الجيش الوطني ينتقل في الشوارع والميادين .
ليطهرها من بقايا المحتلين .

...

وكانت صوفي بين الذين شاهدوا استمرار الجيش الوطني
بفرح شديد . وقلق أشد .

فانها وقت مع كازيمير المعجوز علي افرينز أحد الشوارع
وراحت تلب بصرها بين الضباط عليها أن تعرف بينهم الشاب
الوحيد الذي خفق له قلبها :

وما هي الا لحظة حتى امتنع وجهها ثم اجم . وأغرورقت
عينها بالدموع .

ذلك انها رأت السكونت مقبلا على رأس فيلق كبير .
وقد زينت النياشين والاوزمة صدره المريض .

وكان هو بدوره يقرب البصر حوله في البحث عنها . . لانه
فصد الى الفندق الامبراطوري طالما استتب لهم الحال في المدينة .

ولكنه لم يجد لها اثرًا . فاشتق أن يكون اصحابها مكروه .
ولما التفت ابصارهما . في وسط هذا العيد الوطني .
الكبير . لكز الكونت جواده . واسرع به نحوها . ثم
ترجل عنه .. واحتواها بين ساعديه .. وراح يقبلها والدموع
تنهمر من عينيه . ثم التفت الى ضباطه وقال :
- أيها الاصدقاء .. أيها الرفاق . أقدم لكم الصبية الباسلة
التي انقذت حياتي وانقذت الوطن المقدس .
أقدم لكم زوجتي ..

فصق الضباط . وهتف الشعب لمنقذة الوطن .
ولما التفت الكونت الى صوفي . وجد أنها قد اغمى عليها
بين ساعديه بتأثير الفرح والافتعال

بعد عشرين عاما

وصار اسم صوفي بعد ذلك من الأعلام المشهورة في
تاريخ جرجوفيا .. وصارت تضحيتها في سبيل الحب والوطن
مضرب الامثال واصبحت هذه الخادمة الفقيرة .. الكبيرة
القلب مكانة عند الجرجوفيين تضارع مكانة جان دارك عند

الفرنسيين فقد طردت جان دارك الانكليز من ارض وطنها
وكذلك كانت صوفي بمهارتها وحذقها واخلاصها سيبا في طرد
جيش سلافونيا من عاصمة بلادها .

ولما تم جلاء السلافونيين عن البلاد الجرجوفية ..
. عادت الحكومة الى العاصمة وعاد معها البلاط ومجلس الوصاية
والملك الطفل

وكان يوم زفاف صوفي على السكونت اليكسيس ماسي
يوم عيد وطني .. ظلت البلاد تحتفل به بعد ذلك في كل عام ..
وابتاعت الحكومة «الفندق الامبراطوري» من مدام
دنكوفيش وجعلت منه متحفا وطنيا . وضعت فيه الاسلاب
والاسلحة ان غنمت من الجيش السلافوني اثناء تدهوره
السريع ...

واصبحت صوفي تدعى الكونتيس دي ماسي .. وقد
زارت مع زوجها ذلك الفندق فيما بعد .. وشاهدوا المفسد
الذي قتل فيه الجاسوس فلاديمير بتروف .. والفرقة التي سجدوا
فيها معا .

وكان الحارس الذي محلت به صوفي قد . اي في ثلاث

الفرقة اسير ائتوسطت له صوفى وزوجها عن مجلس الجيش
الاعلى وكان ذلك سبباً فى اطلاق سراحه

ولكن الجندى للسكين لم يجرؤ على العودة الى وطنه
ولم يكن لحسن الحظ متزوجاً فالتمس البقاء فى جرجوفيا
وتجنس بالجنسية الجرجوفية . واطم عند صوفى وزوجها
خادماً أميناً

...

اما انطوان : فقد كانت له من هذه الحادثة عظة وعبرة .
وكان له منها درس فى الوطنية لم ينسه أبداً
فلما نشبت الحرب بين البلدين بعد ذلك بيضة اعوام كان
هو فى طليعة المتطوعين تحت لواء الكونت الكسيس ماسي
الذي رقى الى مرتبة القواد

وقد اصاب القائد ماسي فى هذه الحرب انتصاراً ساحقاً
فاقتحم بلاد الاعداء . واحلها . وضها الى ممسكة جرجوفيا
وكان الملك قد بلغ سن الرشد وتسلم زمام الحكم . فرفع
الكونت ماسي وزوجته الى مصاف الامراء . ومنحها مقاطعة
واسعة البطاق يقضيان فيها مابقى لهما من أيام الحياة

ولكننا لم نعد الا نسمع عن مملكة جرجوفيا السوء والمظ
قد حدثت في بلاط الملك مؤامرة مخيفة ترمى الي ضم
البلاد الجرجوفية الى مملكة اليونان
واستطاع المتآمرون ان يباغتوا الملك الشاب في قصره
وفتكوا به ...

وكان البرنس اليكسيس دى ماسى قد بلغ سن السكولة
فلما اتصل به خبر المؤامرة . خرج من عيشة العزلة التي كان
يعيشها مع امرأته وابنه كازيمير — وقد اطلق على ابنه هذا
الاسم احياء لذكرى الخادم الامين كازيمير الذي كان ساعد
صوفي الأيمن في تدابيرها . وتقلد حسامه . وامتطى جواده
وخرج على رأس جيش من المخلصين لتأديب المتآمرين
والتكيل بهم

وبعد كفاح شديد . بين منائر البلاد وكهوفها : سقط
الشيخ الباسل صريعا . وهو يهتف باسم الوطن . واسم صوفي .
وعندئذ حملت صوفي حسام زوجها بما طبعت عليه من
الشجاعة والتفاني في حب الوطن . وقادته لابنها كازيمير ..
وأوعزت اليه أن ينتقم للملك ولا ييه . أو يسقط صريعا مثله اسقطا

ولسكن جيش اليونان كان قد توغل في بلاد جرجوفيا .
فجمع الجرجوفيون صفوفهم . ولكن بعد فوات الوقت .

الخاتمة

وبعد حوادث هذه الرواية بمشرين عاما . كنت تجدني
مقبرة الامراء . قبرا كبيرا من الرخام الابيض . قد تكدست
عليه الزهور . وارتفع فوقه نصب عظيم من الرخام . قد كتب
عليه بحرف ذهبي كثيرة بارزة :

هنا يرقد .

البرنس الكسيس ماسي دي جرجوفيا . . والاميرة
صوفي دي جرجوفيا :

وابنهما كازيمير دي ماسي :

الذين انقذوا الوطن . واستشهدوا في سبيل الوطن .
ولا يرال هذا النصب قائما حتى الساعة . محج اليه
الجرجوفيون المخلصون كل عام ويصعوت عليه الزهور
والاقدحوان

تمت

.....

مطبوعات مصطفي محمد الروائية صاحب المكتبة التجارية الكبرى
بأول شارع محمد علي بمصر الذي نشرت تباعا بمجريدة الاهرام

الثنى	اسم الرواية	جزء	الثنى	اسم الرواية	جزء
٨	صاحبة الملايين	٢	١٠	على مذبح الحب	١
٨	نريا أو شهيدة الولا	٣	٩	كبلين الحسناء	١
٨	الحب الابدى	٢	١٠	حكم الهوى	١
٨	الفجر أو انجيلا	٢	٩	ملاك الحرس	١
٨	هي أو مائنة	٢	١٠	الاقدار	١
٨	عودة مائنة	٢	١٠	الاقدار	١
٨	ابنة متزوما	٢	١٠	غرام عذراء	٢
٦	بنت الحكمة غرام مائنة	٢	١٠	ارمرلدا	٢
٨	كلوبتره ملكة مصر	٢	٨	الحب الساحر	١
٨	فتاة الغال أو بتريس	٢	٦	بين ثارين	٢
٨	وسف صلاح لدين	٢	٦	تهواه	٢
٨	كوكب الصباح	٢	٦	مداعبات الدهر	٢
٨	مادلين راعى البقر	٢	٦	في سبل هواها	١
٨	حظي من النساء	٢		(روايات جديدة)	
٦	غرام الامير رعمسيس	٢	١٥	الاميرة المصرية	
٤	على الحدود	١		أوفتح مصر القديم	١
٤	توت عنخ آمون	١	٨	الؤساء ليفكتو هوجر	٢
٥	طبيب الصحراء	١	٨	الانهام أو المرأة السكرية	٢
٥	المثلث الذهبي	١	٥	ابنة لملوك	١
٥	الاصفر المعبود	١	٥	ذات الزهرة البيضاء	١
٤	الجاموس الاعرج	١	٤	ابن الشيخ أ. غرام في الصحراء	١
٦	حانير أو البنيمة	١	٤	وقائع شرلوك هانز	١
			٤	عواطف المرأة	١

حفظ المكتبة لها قاله نزل مجانا لكل من يطلبها

